



عبر البيان القرآني عن الديكتاتورية أبلغ تعبير، ووصفها أحسن وصف، وذلك في قوله - تعالى - حكاية على لسان فرعون: {ما أريك إلّا ما أرى وما أهديكم إلّا سبيل الرّشاد}.

فالديكتاتورية كما عبر عنها الطاغية فرعون هي إلّا نظر ولا رؤية للحياة خيرها وشرّها إلّا بمنظاره، وأن السبيل الوحيد للرشاد سبيله، فالخير كلّ الخير في اتباعه، والشرّ كل الشر في مخالفته وعصيائه، ومن رأى غير ما يرى "الفرعون" فهو ليس إلّا زارعاً في الأرض الفساد!!.

هذا عن ديكتاتورية الحكام التي نشجبها، ونندّ بها، بل ونسعى إلى اقتلاعها من جذورها، فماذا عن الديكتاتورية في حياتنا؟!.
ماذا عن الديكتاتورية في بيتنا ومدارسنا؟، وماذا عنها في شتّي مجالات حياتنا، ألسنا ديكتاتوريين، أو على الأقلّ أكثرنا!!.
وفيما اختلفت ديكتاتورية الحاكم عن ديكتاتوريتنا، اللهم إلّا في اختلاف في المسميات والتفاوت في القدرات والإمكانات، وإلّا كنّا معه في خندق واحد.

من منّا لا يعرف وزيرًا قابعاً في منصبه من عشرات السنّوات؟!.
من منّا لا يعرف عالماً أو أديباً أو شاعراً، أو كاتباً، أو مثقفاً منخرطاً، بل ومتربّساً لعدد قد يبلغ العشر من المؤسّسات والجمعيات، خلال عشر من السنّوات؟!.

من منّا لا يعرف العالم الفلاني الذي يترأس الهيئة العلمائية وأختها من عشرات السنّوات؟!.
من منّا لا يعرف زعيم الحزب الإسلامي الفلاني الذي لا يقبل إلّا أن يكون علماً على رأس الحزب، ولو جاوز الثمانين، وتجاوزت السنين أفكاره؟!.

من منّا من لم يمارس عليه، أو يرى قهر المدرّسين وجبروتهم، واعتدادهم برأيهم، بل ومخاصلتهم وحقدهم على من ينافسهم، فضلاً عنّ يردد عليهم من المتمدرسين؟!.

من منّا من لم ير ذاك الأخ المتسلط على إخوته وأخواته الصغار، بل وعلى أمّه أيضًا؟!.
من منّا من لم ير ذاك الزوج الديكتاتوري على زوجته وأولاده الأغوار؟!.
من منّا من لم ير ويشاهد من هذه المظاهر الديكتاتورية الشيء الكثير؟!.

من منّا من لم ير، ويرى؟!.

لقد رأيت من مدّرسينا من كان يشتم الطالب لأنّه ارتكب جرم عدم فهم ما يقوله المدرس من درر لا يفهمها إلّا هو وحده!.
ورأيت منهم من وصف بأقبح الصفات طالباً لأنّه تطاول وسأل الأستاذ عمّا لا يعلم!.
أو ليست هذه الديكتاتورية البغيضة في أبهى صورها؟!.

ليست الديكتاتورية أمراً خاصاً بالحكام فحسب، بل هي صفة مرضية يمكن أن يصاب بها أيُّ فرد بغضّ النظر عن قيمته ومستواه.

إنّها جرثومة خبيثة يستعين بها الأشخاص المرضى المصابون بعقد النقص، ليظهروا بمظاهر الكمال، ويلبسونها اعتقاداً منهم بأنّها تضفي عليهم هيئة الإجلال!.
وأنّى لهم ذلك.

الديكتاتورية البغيضة هي الاستبداد بالرأي، ونصف الآخر، كان الأمر من المواطن العادي، أم من الوزير، أم الحاكم.
الديكتاتورية البغيضة توحيث ما في اليد من غير وجه حق لمن لا يستحق، سواءً كان الأمر المورث علمًا، أم مكانة، أم كرسياً، أم حرف، أم غير ذلك.

الديكتاتورية البغيضة هي الاستبداد والظلم، بشتى صوره وألوانه وأنواعه، المادية كانت، أم المعنوية، من شخصٍ، أم من عشر، أم من أمّة بأجمعها.

الديكتاتورية البغيضة هي سلب الناس حقوقهم، بداية من حقوقهم في التفكير، إلى حقوقهم في التعبير، مروراً بعيشهم الكريم، وصولاً إلى منهم من حياة العزة والكرامة والعدالة.

الديكتاتورية البغيضة هي الديكتاتورية البغيضة، المرض المزمن الفتاك بالأمم والأفراد، والوباء المتفشي تحت ألوان مختلفة، وصور متنوعة، تكبر متمثّلة في سلطان مستبدٍ جائر، وتصغر ف تكون في ولد الصّغير تنهره عن الكلام في بيتك، وتتسّفه قوله، وتقرّ قوله، لا لشيء إلّا لأنّك قويٌّ وهو ضعيف.

الديكتاتورية البغيضة هي وأد الطاقات، وتحجيم القدرات، وحصرها في دائرة ضيقّة، تمجد الأشخاص، وتؤله البشر، كان الأمر من الحاكم، أم ممّن هو دونه.

الديكتاتورية عنوان محاربة الفكر، وسجن الحرية، وعدو العدالة، رمز التّخالف والاستبداد، وعلمُ قديس العباد للعباد، بدل السياحة في فلك حرية رب العباد.

الديكتاتورية مرضٌ لا علاج له إلّا الاستئصال، ولا حلّ وسط معه إلّا الزوال، فتدارك نفسك قبل أن تُلغى، واعتبر بغيرك إن كنت سعيداً، وتب من ديكتاتوريتك خير لك من أن تصبح صباحاً يفصح فيه أمرك، وينكسر فيه ما اصطنعه لنفسك من مهابة، وما أدعّيته من كمال.

واعلم أنّك عقلٌ من جملة عقول، وفردٌ في مسرح في هذه الحياة، فالزم حذك، ولا تتجاوز دورك، فيضيّع عندها أمرك، وينشّت فكرك، وتكون عاقبتك وبالاً كما حصل مع من كان قبلك، من الديكتاتوريين الصغار والكبار.

المصدر: رابطة العلماء السوريين

المصادر: